استراتيجيات حكومة الامام علي (عليه السلام) وأثرها في وحدة المسلمين (دراسة في النص والواقع)

الدكتور: رعد كاظم جدي

١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الوحدة: كلمة تهفو إليها قلوب المؤمنين المخلصين لربهم ودينهم. فكيف إذا كانت الوحدة تهم المسلمين ؟

والوحدة من أسمى الأهداف التي دعا إليها الله سبحانه وتعالى والرسول [وأمير المؤمنين (ع) وأهل البيت (ع)، وجميع الدعاة والمصلحين على مرِّ التاريخ.

ولا يشك أحد في عظمة هذا الهدف وأهميته العقلية والتشريعية، فما دعا إليه الإسلام من عزّة ورفعة ومنعة وقوة للمسلمين، لنْ يتحقق إلا من خلال تراحمهم وتعاطفهم وأنهم كالجسد الواحد والبنيان المرصوص.

إنَّ التجزئة والتمزّق والتشتت الذي يعيشه المسلمون منذ مدّة طويلة وحتى اليوم، هو سبب ضعفهم وتردي أحوالهم وتأخرهم في مختلف الميادين وتسلط أعدائهم عليهم.

وأصبحت مسألة العودة إلى المجتمع الإسلامي الموحّد هدفاً بعيدَ المنال أو مستحيلاً في ظل الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية.

وعلى الرغم من كل هذا لا بد أنْ نؤسس لمستقبل جديد، أو أنَّ تشييد هذا المستقبل يتحقق بتحقيق الوحدة الإسلامية.

إنَّ من وسائل التقريب؛ بلْ من أسس الوحدة الإسلامية التمسك بأهل البيت (ع)، والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وتقريرهم؛ لأنَّ المسلمين مهما اختلفوا في شيء، لم يختلفوا في طهارتهم وتنزيههم، وبعد ذلك حجية كلامهم، لا سيما وأنَّ ذكرهم جاء في القرآن الكريم، وكذلك أوصى رسول الله [بالتمسك بهم، لأنهم أحد الثقلين.

ولعل الإمام عليّ (ع) يشكل الثقل الأعظم من أهل البيت (ع)، فهو عطاء متواصل في ترسيخ الوحدة الإسلامية، والنهوض بمسيرتها الحضارية.

وسبب اختياري للموضوع، هو إعادة التلاحم بين المسلمين ليكونوا أمة واحدة لها شأن كبير بين الأمم. لأنه (ع) كان في أقواله وخطبه ووصاياه ورسائله

إلى عماله يحث أصحابه والناس على الإخاء، والألفة، والمحبة، والاتحاد وذم الفرقة، والحرص على لم شمل الأمة الإسلامية. وما أحوجنا اليوم إليها في ظل الظروف التي يمر بها بلدنا والأمة الإسلامية.

ونتيجة اهتمامه (ع) بالاتحاد، فقد عاش في قلوب المسلمين، وفي عواطفهم، وعقولهم وسلوكهم. فكان القدوة بعد رسول الله ﷺ في توحيد الأمة الإسلامية.

استراتيجيات حكومة الإمام علي (عليه السلام) وأثرها في وحدة المسلمين:

- من كتاب له (ع) لمالك الأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن، وقد ذكر الإمام (ع) المساواة في أصل الخلق وعدم التمايز والتفرقة، فقال: **((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ، ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))** (١).

العدل في نظر الإمام (ع) هو الأصل الذي يستطيع أنْ يحقق توازن المجتمع، ويرضي جميع أفراده ويهب لهم السلام والأمن والطمأنينة والرضا.

أما الظلم والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى نفس الظالم، فكيف بالمظلومين والمحرومين. لذلك لم يهادن الإمام (ع) أحداً في الحق، ولم تأخذه في إقامة العدل لومة لائم.

يذكر الإمام (ع) في مقارنته بين العدل والظلم، أنَّ في العدل سعة، وأنَّ في الجور ضيقاً. فالمؤمن يقنع بالعدل ولا يتجاوز حدوده، فيعيش في استقرار وسعادة.

أما الفاسق الذي يتجاوز حدود العدل، فليس أمامه حدود تحده، فكلما بلغ مبلغاً من شهواته، تعطَّش إلى شهوات أخرى، فيعيش دائماً في ضيق وقلق، ولا يبلغ حد الاستقرار والسعادة (٢).

يعطي الإمام (ع) القوانين العامة في إدارة البلاد بما تحتاجه، ثمَّ بعد ذلك يبدأ في عهده (ع) بما يلزم على مالك الأشتر في نفسه من التأديب وبعد ذلك نراه (ع) يوصيه بالرعية ويذكر له أنَّ الرعية لا تكون من المسلمين فقط؛ بلْ حتى غير

المسلم عند وجوده لابد من احترامه؛ لأنَّ الإسلام يمنع من التعرض للآخرين ولو كانوا من غير ملتهم، وعلى غير عقيدتهم من المذهب والأديان.

وسيرة الأئمة (ع) السياسية والاجتماعية لم تقم على الانتقام ولا على القوة والتسلط ولو أرادوا لفعلوا وإنما نراهم يعاملون الناس بأخلاق القرآن الكريم وسيرة جدهم النبي الأكرم [. وهكذا كان أمير المؤمنين (ع) يعامل ويوصي لأفضل عماله وخير صحابته بحسن معاملة الرعية بين الجميع.

وينجلي لنا حرص آل البيت (ع)على بقاء عزِّ الإسلام وإنْ كان ذو السلطة من ألد أعدائهم. وقد جسد هذا الموقف الإمام زين العابدين (ع) من ملوك بني أمية، وهو الموتور لهم، والمنتهكة في عهدهم حرمته وحرمه، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته، فإنه مع كل ذلك كان يدعو في سره لجيوش المسلمين عامة بالنصر، وللإسلام بالعز، وللمسلمين بالدعة والسلامة، في دعائه المعروف بـ (دعاء أهل الثغور). وهكذا يمضي الإمام (ع) في دعائه البليغ وهو من أطول أدعيته في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق وأخذ العدة للأعداء، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الإسلامي بيان الغاية منه وفائدته، كما ينبه المسلمين إلى التوحد والحذر من أعدائهم وما يجب أنْ يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى والانتهاء عن محارمه، والإخلاص لوجهه الكريم في جهادهم ووحدتهم. وكذلك عمل باقي الأئمة (ع) في مواقفهم مع ملوك عصرهم، وإنْ لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل بكل قسوة وشدة، ومع ذلك سعوا إلى تعليم الناس معالم دينهم وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي في توحيد الأمة وعدم الفرقة.

إنَّ التمييز الذي كان قبل الإسلام بين بني البشر فقد ألغي من الله تعالى كما وضح ذلك في آيات قرآنية عديدة، وكذلك ألغي من النبي [في أحاديث شريفة، ثمَّ من أمير المؤمنين (ع) في قوله: **(إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)**. فقد كانت الرومان تعتقد ـ فلسفياً ـ أنَّ العنصر الأبيض غير العنصر الأسود جنساً ودماً وخلقة.

- وعنه (ع) في أنَّ المسلمين بأجمعهم أمّة واحدة ولا فضل لأحد منهم على أحد إلاّ بالتقوى، ويطلبون منه التفضيل لهم في قسمة الأموال والعطايا بين المسلمين، فقال (ع): **((مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، وآمَنَ بِنَبِيِّنَا وشَهِدَ شَهَادَتَنَا، ودَخَلَ فِي دِينِنَا أَجْرَيْنَا عَلَيْه حُكْمَ الْقُرْآنِ، وحُدُودَ الإسلام لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَا وإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ الله تَعَالَى أَفْضَلَ الثَّوَابِ وأَحْسَنَ الْجَزَاءِ والْمَآبِ))**(٣).

أشار الإمام (ع) من باب الاستئناف بقوله: **(مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ...)** إلى أنه (ع) يجري عليهم أحكام القرآن الكريم وحدود الإيمان وقوانينه رضوا أم كرهوا ولا يخاف لومة لائم، ثمَّ أشار إلى دفع ما توهموا من فضلهم على غيرهم بقوله: **(لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى)** فالتقي وإنْ كان عبداً حبشياً أفضل من غيره وإنْ كان رجلاً قرشياً، ثمَّ حث على التقوى ورفض الرسوم الجاهلية من دعوى الفضل بالجاه والمال والنسب ونحوها من الأمور الاعتبارية المحضة التي لا حقيقة لها.

إنَّ العناصر التي تحقق مفهوم الأمّة الواحدة خارجاً هي الأرض، والجنسية، واللغة، واللون، والمصلحة المشتركة والفكر والعقيدة، ولا شك أنّ لكلّ من هذه تأثيراً في تحقيق الوحدة بين الأفراد وفي نشوء الإنسان وتربيته، فإنَّ الإنسان ليس منعزلاً في حياته عن الشؤون المادية وخواصّها وآثارها. ولكنه من الواضح لكلّ أحد أنّ إنسانيّة الإنسان وكرامته ليس ببدنه ومزاجه وقواه المادية؛ بلْ بعقله وفكره وآرائه، والذي يحكم على قلبه وروحه هو فكره وإيمانه الذي يعده أعزّ الأشياء لديه بحيث يضحّي بنفسه في طريقه. فلو فرضنا مواطنين ولدا على أرض واحدة واشتركا في جميع العناصر المادية ولكنهما اختلفا في العقيدة والفكر، نراهما كل يوم يتناحران ويتشاجران ولا يوجد بينهما العلاقة والمحبة. وبالعكس؛ لو فرضنا إنسانين اختلفا في الوطن والعناصر المادية ولكنهما اتفقا في العلاقات الروحية والأفكار والآراء، نراهما متحابين متجاذبين كأنّهما روح واحد في جسدين.

ولا يمتاز الإنسان عن سائر أنواع الحيوان إلاّ بروحه وفكره وعقائده.

فالوحدة في الفكر والإيمان هي القادرة على جمع أفراد الإنسان وإيجاد العلاقة بينهم، لا وحدة الوطن والعنصر؛ ولأجل ذلك ترى الإسلام يحكم بوحدة

الأمّة الإسلامية وأخوة المؤمنين بما هم مؤمنون، ولا يرى للامتيازات المادية من الجنس واللغة واللون شأناً بحيث توجب فضيلة للإنسان في قبال الفضائل الروحية وفضيلة الإيمان والتقوى(٤).

- ومن قول له (ع) يبين فيها آثار الاختلاف والفرقة في يوم صفين، فقد روى ابن أبي الحديد (ت ٦٠٦هـ) في شرح نهج البلاغة، نقلاً عن "كتاب صفّين" لـ " نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) ". بعد أنْ حمد الإمام (ع) الله تعالى وأثنى عليه، فقال (ع): **((... ألا إنَّ المسلم أخو المسلم فلا تنابذُوا ولا تجادلوا، ألا إنَّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لَحِق، ومن فارقها مُحِق، ومن تركها مَرَق، ليس المسلم بالخائن إذا ائتمِن، ولا بالمخلِف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق. نحن أهل بيت الرحمة))**(٥).

الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة، لا نعمة التجانس الروحي فحسب؛ بلْ نعمة التعاون المادي كذلك. وقد كرر الله عزَّ وجَّل ذكر هذه النعمة مرة ومرة: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾**(٦).

فأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء؛ بلْ تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المظلوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك؛ بلْ لا بد من الوقوف بجانبه على أي حال: لإرشاده إنْ ضل، وحجزه إنْ تطاول، والدفاع عنه إنْ هوجم والقتال معه إذا استبيح ... وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام.

إنَّ خذلان المسلم شيء عظيم، وهو - إنْ حدث - ذريعة خذلان المسلمين جميعاً؛ إذ سيقضي على إخلال الإباء والشهامة بينهم، وسيرضخ المظلوم طوعاً أو كرهاً لما وقع به من ضيم ... ثمَّ ينزوي بعيداً وتتقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه.

وقد هان المسلمون أفراداً، وهانوا أمماً يوم هوت أواصر الأخوة بينهم ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكر، وأصبح الأخ ينتقص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضي لشأنه كأنَّ الأمر لا يعنيه !

إنَّ هذا التخاذل جرَّ على المسلمين الذل والعار، وقد حاربه الإسلام حرباً شعواء، ولعن من يقبعون في ظلاله الداكنة الزرية.

والحق أنَّ أواصر الأخوة في الله تعالى هي التي حمت الإسلام أول أمره، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله [في تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثمَّ خرجت بعد صراع طويل وهي رفيعة العماد وطيدة الأركان، على حين ذاب أعداؤها وهلكوا.

وإنَّ الإخوة في الإسلام تعني الإخلاص له، والسير على سبيله، والعمل بأحكامه، وتغليب روحه على الصلات الخاصة والعامة، واستفتاءه فيما تعرض من مشكلاته، وغض الطرف عما عدا ذلك من صيحات ودعوات (٧).

- ومن كلامه ووصاياه (ع) في أربعمائة باب في أمور الدنيا والدين، وجاء فيها في الوحدة وترك الخلاف، قال (ع): **((المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوة فلا تكونوا عليه إلباً، وأرشدوه، وانصحوا له وترفقوا به، وإياكم والخلاف، فإنه مروق، وعليكم بالقصد ـ بالاستقامة ـ تراءفوا وتراحموا))** (٨).

إنَّ المجتمع الإسلامي لو سارّ على هذه النصائح لكان المسلمون يداً واحدة وانسد الطريق أمام أعدائهم وخصومهم، وما وجد في مجتمعهم فقير أو محروم؛ لأنَّ التعاون والتواصل من أوثق الأسباب التي توجد التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

وبلغت الأخوة الإسلامية القمة في روعتها وعظمتها، ويظهر ذلك جلياً حينما نقرأ أقوال النبي [، ويصف المجتمع الإسلامي في تقارب عواطفه ووحدة مشاعره بأنه كالجسم الواحد.

وكذلك أقوال الإمام (ع) في حثه على الوحدة، وعدم التفرق. لقد أراد الإسلام أنْ يجعل الأخوة الإسلامية كالأخوة النسبية في قوتها ومكانتها.

إنَّ الأخوة الإسلامية ليست مجرد عاطفة ظاهرة وإنما هي علاقة وثيقة تمتد إلى أعماق القلوب ودخائل النفوس فتحتم على المسلمين أنْ يشتركوا في البأساء والضراء.

وقد بنى الإسلام الأخوة الدينية على أسس عميقة فقد أمر بالأسباب التي تؤدي إلى المحبة والتآلف، ونهى عن عوامل العدوان والتباغض، وبين الحقوق العامة التي تترتب على هذه الأخوة. وهذا ما أكد عليه أمير المؤمنين(ع) في أقواله.

- وعنه (ع) في التحذير من الفتن والتمسك بالجماعة، قال (ع): **((فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلَامَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْه حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وبُنِيَتْ عَلَيْه أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، واقْدَمُوا عَلَى اللَّه مَظْلُومِينَ ولَا تَقْدَمُوا عَلَيْه ظَالِمِينَ))** [٩].

كان الإمام (ع) أول دعاة الوحدة بعد القرآن الكريم والنبي [في توحيد المسلمين والأمة، فحتى يوم صفين لم يكن يشغل باله ويقلق خاطره إلا تفرق الأمة وضياع الدين، ففي خطابه لأصحابه يوم ذاك قال (ع): **((ألا وإِنَّه لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ، حَافَظْتُمْ عَلَيْه مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ))** [١٠].

ومما أفضى به الإمام (ع) إلى عشيرته في التوحد وعدم الفرقة، قوله: **((أَمَّا وَصِيَّتِي فَأَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّه جَلَّ ثَنَاؤُه شَيْئاً ومُحَمَّداً [فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَه أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ))** [١١].

إنَّ الوحدة بين جميع المسلمين في ظل دين التوحيد كانت في أشد الفتن اضطراماً وفي أشد الظروف سواداً وقتاماً بين أفراد الأمة كلها في زمن معاوية وما سببه من خلافات وتفرق الأمة.

إنَّ الإسلام فوق الفرق والشيع والمذاهب، وأنَّ معالم العقيدة الدينية مبرأة من التفرق، وأنَّ طبيعتها تقتضي إيجاد الحلول العملية الإيجابية التي تحرك الوجدان، وتستجيش الضمير، وتدفع بالطاقات البشرية إلى التوحد، على هدي من الفكر النير والمنطق السليم التي توحد الصف، وتلم الشعث، وترأب الصدع، حتى نعتصم جميعاً بحبل الله تعالى غير متفرقين والسير على نهج أمير المؤمنين (ع).

- سأل (ع) عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقد جاء في كنز العمال عن سليم بن قيس العامري، قال: سأل ابن الكّوا عليّاً (ع) عن السّنة و البدعة، وعن الجماعة والفرقة. فقال (ع): **((يا ابن الكوّا، حفظت المسألة فافهم الجواب: السنّة والله**

سنّة محمد [، والبدعة ما فارقها. والجماعة واللّه مجامعة أهل الحقّ وإنْ قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإنْ كثروا)) (١٢).

إنَّ الإمام (ع) كان همه الإسلام ووحدة المسلمين، رغم أنه كان يؤمن بحقّه في كثير من الأمور بعد رحيل رسول الله [، لكنه انشغل بمسؤوليته الكبرى في صيانة المسيرة الإسلامية، وقال: **((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلاّ عليّ))** (١٣) بكل ما فيها من مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية وهي الأهم بالنسبة له. وبهذه الروح تعامل مع كل ما واجهه من مواقف معقدة في حياته. وهذه الروح هي التي خلدته، وهي التي صيّرت منه إماماً للمسلمين على مرّ العصور، وهي التي صانت المجتمع الإسلامي الوليد من الانهيار، وحفظت وحدته وتماسكه. ولولا هذه القيم لأصبح الإسلام ساحة صراع مصلحي بين الأقوياء لا شأنَّ فيه للشعوب ومصالح الشعوب وكرامة الأمة.

لولا هذه القيم التي جسّدها الإمام (ع) في أيام حكمه وثورة ابنه الإمام الحسين (ع) لما ظهرت في التاريخ الإسلامي أصوات باسم الإسلام تطالب بالعدل وترفض الجور.

- قال أمير المؤمنين (ع) مخاطباً الخوارج في التوحد وعدم الفرقة: **((والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّه مَعَ الْجَمَاعَةِ، وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ، أَلا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوه ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِه))**(١٤).

لقد أمر الإمام (ع) بلزوم طريقة السواد الأعظم أي: أكثر المسلمين المتّفقين على رأي واحد، ورغَّب في لزوم طريقتهم بأنَّ يد الله تعالى على الجماعة، فتجوّز بلفظ اليد في قدرة الله تعالى وحراسته للجماعة؛ إذ كانوا أمنع وأبعد من الانفعال للعدوّ، وآمن من الغلط لكثرة آرائهم واتّفاقها، فلا تكاد تتّفق على أمر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها، وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بأنَّ الشاذّ من الناس. أي: المنفرد المستّبد برأيه للشيطان، أي: محلّ تطرّق الشيطان لانفراده، وشبّه ذلك

بالشاذّ من الغنم، ووجه الشبه كون انفراده محلاً لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له، كما أنَّ الشاة المنفردة في مظنّة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب.

إنَّ وحدة الأمة الإسلامية فرض وواجب، والمسلمون بحاجة إلى التقارب والتفاهم، وهم اليوم بحاجة أكثر إلى ذلك مع هذا الوضع المؤلم، فالأعداء تكالبوا علينا، واستغلوا فينا وصمة التشتت والافتراق، فأصابونا في ديننا وفي علاقاتنا، وألهونا بمسائل هامشية على حساب جوهر الدين والإسلام.

إنَّ الناس إنْ لم يجمعهم الحق شعّبهم الباطل، وإنْ لم توحّدهم عبادة الرحمن مزّقتهم عبادة الشيطان، وإنْ لم يستهويهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا. ولو دققنا في الشرائع الإسلامية وآدابها فهي تعد الفرد جزءاً لا ينفصم من كيان الأمة، وعضواً موصولاً بجسمها لا ينفك عنها، فهو طوعاً أو كرهاً يأخذ نصيبه مما يتوزّع على الجسم كله من غذاء ونحو ذلك، وقد جاء الخطاب الإلهي والأحاديث الشريفة لأهل البيت (ع) مقررات لهذا الوضع، فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي، إنما تناول الجماعة كلها في توحد الأمة. ولهذا فلنتوحد؛ لأنَّ كتابنا واحد، ونبينا واحد، وسنتنا واحدة سنة أهل البيت (ع).

- ومن خطبة له (ع) يحذر عن التلوّن في الديّن الملازم للنفاق ويحث أصحابه على الإخاء والألفة والاتحاد وذم الفرقة وكذلك الحرص على جماعة الأمة. وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فقال (ع): **((فَإيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ فِي دِينِ الله، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وإِنَّ الله سُبْحَانَه لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى، ولَا مِمَّنْ بَقِيَ، لزوم الطاعة يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَه عَيْبُه عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَه وأَكَلَ قُوتَه، واشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّه وبَكَى عَلَى خَطِيئَتِه، فَكَانَ مِنْ نَفْسِه فِي شُغُلٍ والنَّاسُ مِنْه فِي رَاحَةٍ))**(١٥).

عرف عن أمير المؤمنين (ع) بحرصه على بقاء مظاهر الإسلام، والدعوة إلى عزته، ووحدة كلمته، وحفظ التآخي، ورفع الضغينة من القلوب، والأحقاد من النفوس. ولا ننسى موقفه (ع) مع الذين سبقوه، فجاراهم وسالمهم؛ بلْ حبس رأيه في

أنه المنصوص عليه بالخلافة، حتى أنه لم يجهر في حشد عام بالنص إلا بعد أنْ آل الأمر إليه فاستشهد بمن بقي من الصحابة عن نص الغدير في يوم (الرحبة) (١٦) المعروف.

وكان (ع) لا يتأخر عن الإشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للإسلام بالنفع والمصلحة، وكان يقول عن ذلك العهد: **((فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وأَهْلَه، أَنْ أَرَى فِيه ثَلْماً أَوْ هَدْماً))** (١٧). كما لم يصدر منه ما يؤثر على شوكة ملكهم أو يضعف من سلطانهم أو يقلل من هيبتهم. كل ذلك رعاية لمصلحة الإسلام العامة، ورعاية أنْ لا يرى في الإسلام ثلماً أو هدماً.

وفي خطبته (ع) التي ذكرت، فقد نهى عن التلوّن في دين الله تعالى، وكلمة التلون في الدين تومئ إلى النفاق بإخفاء الكفر، وإظهار الإيمان، ولكن المراد بها هنا الفرقة وشتات الكلمة؛ لأنّ الخلاف والصراع لا يستدعي إخفاء البغض والكراهية، وإظهار الود والمحبة، وهو لون من النفاق.

- ومن خطبة له (ع) ويؤكد فيها أنَّ الاختلاف عقوبة إلهية ويحرص على جماعة الأمة، فبعد بعد ليلة الهرير، وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال نهيتنا عن الحكومة ثمَّ أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد، فصفق (ع) إحدى يديه على الأخرى، ثمَّ قال (ع): **((هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ... إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَه، ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه، واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ))** (١٨).

يقول ابن أبي الحديد في شرحه للخطبة: هذه شبهة من شبهات الخوارج، ومعناها أنك نهيت عن الحكومة أولاً، ثمَّ أمرت بها ثانياً، فإنْ كانت قبيحة كنت بنهيك عنها مصيباً، وبأمرك بها مخطئاً، وإنْ كانت حسنة، كنت بنهيك عنها مخطئاً، وبأمرك بها مصيباً، فلا بد من خطئك على كل حال. وجوابها أنَّ للإمام أنْ يعمل بموجب ما يغلب على ظنه من المصلحة، فهو (ع) لما نهاهم عنها كان نهيه عنها مصلحة حينئذ، ولما أمرهم بها كانت المصلحة في ظنه قد تغيرت، فأمرهم على حسب ما تبدل وتغير في ظنه، كالطبيب الذي ينهى المريض اليوم عن أمر ويأمره بمثله غداً.

وقوله (ع): **(هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ)**، يعنى الرأي الوثيق، وفي هذا الكلام اعتراف بأنه بان له وظهر فيما بعد أنَّ الرأي الأصلح كان الإصرار والثبات على الحرب، وأنَّ ذلك وإنْ كان مكروهاً، فإنَّ الله تعالى كان يجعل الخيرة فيه (١٩).

إنَّ الكون متآلف بذراته، بمجراته، لا يحيد عن السنن الإلهية، ولا يخرج عن مقتضيات القوانين الربانية، وهو بعد ذلك مسخّر كله للإنسان. فما بال هذا الإنسان المسلم يتخلى عن قيادته لهذا الكون ؟ ولماذا يكون نغماً نشازاً عن هذا التآلف الكوني ؟ ولماذا يرضى بذيلٍ في القافلة يلتقط فتاتها، وقد أوجده الخالق ليكون قائد زمامها ؟ الكون كله منسجم، ألا ينسجم المسلمون ومعهم كتاب واحد، ونبي واحد، وسنة واحدة ؟

إننا نشاهد بأم أعيننا بعضاً من إخوة لنا لا همَّ لهم إلا تفريق المسلمين، وبث بذور الاختلاف بينهم ـ كما كان معاوية وأصحابه ـ، ونراهم لاهثين في البحث عن كل ما من شأنه تشتيت ما بقي من أشلاء هذه الأمة إلى تمزيقها، وكذلك هناك إخوة يسعون في الأرض يظنون أنَّ الأصل أنْ تكون كلمة المسلمين شتى، وهم يعيشون في أوهام وتفسيرات خاطئة. نطلب من الله تعالى أنْ يهديهم إلى الصراط المستقيم.

- ومن خطبة له (ع) تسمى القاصعة (٢٠)، وهي تتضمن ذم الكبر وتقبيح الاختلاف والحرص على وحدة الأمة. قال (ع): **((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ، الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ويَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً؛ لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، ولَا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ النَّارَ ولَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ونَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ))** (٢١).

قوله (ع): **(إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ)**. إلى قوله: **(كُلِّ خَطَرٍ)**. ترغيب في لزوم حبل الألفة والتمسّك به.

والنعمة الَّتي امتنّ اللّه تعالى بها في عقد حبل الألفة الَّتي لا يعرف أحد لها قيمة هي الألفة نفسها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضارّ وعلَّل

عدم معرفة الخلق لقيمتها بكونها أرجح من كلّ ثمن وأجلّ من كلّ خطر وهى صغرى قياس ضمير تقدير كبراه: وكلّ ما كان كذلك لم يعرف أحد قيمته، وصدق الصغرى ظاهر؛ إذ كانت تلك الألفة والاجتماع على الدين سبباً عظيماً في استعدادهم لسعادتي الدنيا والآخرة.

وقوله: **(واعْلَمُوا...)** توبيخ لهم بانتقالهم عن الأحوال والأقوال الإسلاميّة إلى الأحوال الجاهليّة: أي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين أعراباً، ولمّا كانت الأعراب أنقص رتبة من المهاجرين وأهل المدن لجفاهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانيّة وتعلّمها وعن سماع ألفاظ الرسول] ومجالسته واقتباس الآداب من أهل الحضارة كما قال تعالى: **﴿الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً ونِفاقاً﴾** (٢٢) لا جرم وبّخهم لصيرورتهم كذلك. وليس كلّ الأعراب بالصفة المذكورة لقوله تعالى: **﴿ومِنَ الأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالله والْيَوْمِ الآخِرِ﴾** (٢٣). وكونهم بعد الموالاة أحزاباً فالأحزاب الفرق الَّتي ينقسم لمحاربة الرسل وأوصيائهم ويجتمع لمخالفتهم وظاهر أنّ هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعّبهم إلى ناكثين ومارقين وقاسطين ومنافقين ومحاربتهم له حتّى ليس لهم إذن جامع في الإسلام يتعلّقون به إلَّا اسم الإسلام ولا يعرفون من الإيمان إلَّا رسمه وأثره وشعاره الظاهر بالشهادتين وحضور الصلاة دون الشرائط أُلحقّه وما ينبغي له.

وقولهم: النار ولا العار كلمة يقولها أهل الكبر والأنفة من احتمال الأذى والضيم لأنفسهم أو لقومهم في الاستنهاض إلى الفتنة.

والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا تحتملوا العار. ثمّ شبّههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد أنْ يقلَّب الإسلام على وجهه، وكنّى بذلك عن إفساده كناية بالمستعار ملاحظة لشبهه بالإناء يقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به، ووجه التشبّه المذكور أنّ أفعالهم المذكورة كأفعال من يقصد ذلك من أعداء الإسلام لإرادة إفساده (٢٤).

- ومن وصية له (ع) لأولاده وغيرهم يحثهم فيها على الوحدة وعدم التفرقة: **((عَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ والتَّبَارِّ، وإِيَّاكُمْ والتَّقَاطُعَ والتَّدَابُرَ والتَّفَرُّقَ))** (٢٥)،

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٢٦].

ومن وصية أخرى له (ع) للحسن والحسين I لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: **((عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ، وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ، لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))**[٢٧].

يوصي الإمام (ع) بالتواصل وحفظ الرابطة مع الإخوان المسلمين في شتّى البلاد الإسلاميّة وبذل العون بالمال والحال بعضهم مع بعض.

ويوصي أيضاً بترك التدابر والهجر والقطيعة فانّه يوجب المقت والعداوة وسوء الظنّ والتخاذل.

ويؤكد كذلك ملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لردع الأشرار عن أعمالهم السوء وقيام الأبرار بإجراء الأمور النافعة للعامّة والأمّة، فانّ التسامح فيهما يوجب تسلّط الأشرار والاستيلاء على موارد القدرة والثروة في الجامعة الإسلاميّة ويؤثّر الدعاء في دفعهم لتقصير المسلمين وجرّهم البلاء على أنفسهم[٢٨].

وقد جهد الإمام (ع) كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها، ويعد الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة. وناهض كل من يدعو إلى التفرقة وتصديع الشمل، وقاوم العصبية التي هي من أسباب التفرقة والبغضاء بين الناس، ودعا إلى التعصب لمكارم الأخلاق.

لقد عنى الإمام (ع) بوحدة الأمة، وتبنى جميع الأسباب التي تؤدي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته فقد ترك حقه وسالم الخلفاء صيانة للأمة من الفرقة والاختلاف.

- وعن أمير المؤمنين (ع) في الاتّحاد وعدم التفرق قال: **((والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ))** [٢٩].

قال الشارح ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ): أراد (ع) بالكثرة القوّة والغلبة مجازاً إطلاقاً للاسم مظنّة الشيء على الشيء[٣٠].

(عَزِيزُونَ): أي غالبون. **(بِالاجْتِمَاعِ):** أي باجتماع الرّأي واتّفاق القلوب، وهو خير من كثرة الأشخاص مع النفاق[٣١].

نهى الإمام (ع) عن التفرق في دين الله، وهو الاختلاف والفرقة، وأمر باجتماع الكلمة؛ لأنَّ الله تعالى لم يعط أحداً خيراً بالفرقة، لا ممن مضى، ولا ممن بقي. وقال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم: إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله)[٣٢].

وما من شك في أنَّ نتيجة الاختلاف والفرقة لن تكون سوى الذلة والانكسار، فذلك هو سر سقوط الأمم وذلتها، إنه الاختلاف والتشتت، والنفاق والتدابر.

إنَّ المجتمع الذي تحطمت وحدته بسبب الفرقة، وتفتت تماسكه بسبب الاختلاف، سيتعرض لغزو الطامعين، وستكون حياته عرضة لأطماع المستعمرين؛ بلْ ومسرحاً لتجاوزاتهم، وما أشد هذا العذاب، وما أقسى هذه العاقبة ؟

أجل تلك عاقبة النفاق والاختلاف في الدنيا.

وأما عذاب الآخرة فهو كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم أشد وأخزى. فذلك هو ما ينتظر المفرقين المختلفين، وذلك هو ما يجب أنْ يتوقعه كل من حبذ النفاق على الاتفاق، والتدابر على التآلف، والتشتت على الاجتماع.

- ومن كلام له (ع) في تفسير الفرقة والجماعة، قَالَ لَه (ع) بَعْضُ الْيَهُودِ: **((مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيه، فَقَالَ (ع) لَه: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْه لَا فِيه، ولَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ، قالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))**[٣٣].

لا يختلف اثنان من المسلمين في أنَّ اللَّه تعالى واحد، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ اللَّه يبعث من في القبور، ولكن النبي [كان يحدّث، فيسمعه من حضر، وينتهي حديثه إلى بعض من غاب دون بعض. فيقول هذا: ما بلغني ذلك، ويقول ذاك: بلغني، وإذن فالخلاف في النقل عن النبي [لا في نبوته.

أما اليهود فقد شاهدوا بأعينهم المعجزات الباهرة في انفلاق البحر بضربة من عصا موسى (ع)، وكيف انشق فيه اثنتي عشر طريقاً يبساً بعدد الأسباط، وكيف انطبق على فرعون وجنوده. وبرغم ذلك كله وقبل أنْ تجف أقدامهم كفروا باللَّه

تعالى عن علم، وطلبوا بكل وقاحة وصلافة من نبي الله بالذات أنْ يجعل لهم صنماً يعبدونه من دون الله تعالى.

إذن فلا عجب إذا اعتدت إسرائيل واشتكت من الاعتداء، وانتهكت قرارات « الأمم المتحدة » بحجة المحافظة على شعور الرأي العام، وقتلت وهدمت وشردت بزعم الحرص على السلام[٣٤].

إنَّ نبينا واحد وهو يوحدنا. وهنا لابد من القول بأننا بحاجة إلى وحدة الأمة التي هي تشبه إلى حد كبير الصحة والعافية في الجسد؛ فإنَّ فلاناً يتمتع بالصحة والعافية فهذا يعني أنَّ عينه بصيرة، وآذنه سميعة، وأنَّ يده تعمل، ورجله تسعى، وقلبه ينبض باستمرار. وكل أعضاء جسده سليمة.

والواقعُ أنه لا يمكن أن تكون ثمة أمة موحدة دون وجود وحدة عضوية تربط بين أجزائها، وإلاّ فليست هي بأمّة؛ بلْ شبح أمة، ولذلك قرّر الإسلام مبدأ الأخوّة بين المؤمنين. وهذا المبدأ يعني أنَّ الإيمان والأخوّة متلازمان قوةً وضعفا ً.

ومن هنا لا يُمكن أن نتصوّر انفصالاً بين الإيمان والوحدة. كلاهما مبدآن أساسيان يقوم عليهما الإسلام. وما أجمل قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) رحمه الله، قال: (بُني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة) [٣٥].

ولا يعني ذلك أنَّ الأمة المسلمة الحيّة تخلو من اختلاف في وجهات النظر والعادات والتقاليد والأذواق. فهو اختلاف طبيعي بين أبناء البشر؛ بلْ بين أبناء الأسرة الواحدة أحياناً. غير أنَّ هذا الاختلاف لا يؤدّي إلى نزاع وشقاق بين أبناء الأمة الحيّة؛ بلْ إلى التعارف وتبادل التجارب والتعاون وإثراء المسيرة الحضاريّة، فالاختلاف غير الخلاف. وكلُّ شقاق بين أبناء الأمة الواحدة يعني أنَّ هذه الأمة ابتعدت عن مسيرتها الرسالية، وضعفت معالمُ الحياة فيها.

ونختم الكلام في شرح حكم مولانا عليّ بن أبي طالب (ع) بخبر المؤاخاة بين المؤمنين والمسلمين وحدودها الَّذي رواه في الكافي الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) في

باب حقّ المؤمن على أخيه، **((عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُكَيْرٍ الْهَجَرِيِّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه (ع) قَالَ: قُلْتُ لَه مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، قَالَ لَه: سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنَّ حَقٌّ إِلَّا وهُوَ عَلَيْه وَاجِبٌ إِنْ ضَيَّعَ مِنْهَا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّه وطَاعَتِه ولَمْ يَكُنْ لِلَّه فِيه مِنْ نَصِيبٍ، قُلْتُ لَه جُعِلْتُ فِدَاكَ ومَا هِيَ، قَالَ: يَا مُعَلَّى إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ أَخَافُ أَنْ تُضَيِّعَ ولَا تَحْفَظَ وتَعْلَمَ ولَا تَعْمَلَ، قَالَ: قُلْتُ لَه لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه، قَالَ: أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَه مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وتَكْرَه لَه مَا تَكْرَه لِنَفْسِكَ. والْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ تَجْتَنِبَ سَخَطَه وتَتَّبِعَ مَرْضَاتَه وتُطِيعَ أَمْرَه والْحَقُّ.**

الثَّالِثُ: أَنْ تُعِينَه بِنَفْسِكَ ومَالِكَ ولِسَانِكَ ويَدِكَ ورِجْلِكَ والْحَقُّ.

الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ عَيْنَه ودَلِيلَه ومِرْآتَه والْحَقُّ الْخَامِسُ أَنْ لَا تَشْبَعَ ويَجُوعُ ولَا تَرْوَى ويَظْمَأُ ولَا تَلْبَسَ ويَعْرَى.

والْحَقُّ السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ ولَيْسَ لأَخِيكَ خَادِمٌ فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَه ويَصْنَعَ طَعَامَه ويُمَهِّدَ فِرَاشَه.

والْحَقُّ السَّابِعُ: أَنْ تُبِرَّ قَسَمَه وتُجِيبَ دَعْوَتَه وتَعُودَ مَرِيضَه وتَشْهَدَ جَنَازَتَه وإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَه حَاجَةً تُبَادِرُه إِلَى قَضَائِهَا ولَا تُلْجِئُه أَنْ يَسْأَلَكَهَا ولَكِنْ تُبَادِرُه مُبَادَرَةً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَصَلْتَ وَلَايَتَكَ بِوَلَايَتِه ووَلَايَتَه بِوَلَايَتِكَ)) (٣٦).

الخاتمة:

خلص البحث إلى ما يأتي:

١- اهتمّ أمير المؤمنين (ع) بترسيخ روح الوحدة في المشاعر والقلوب قدرَ اهتمامه بغرس كلمة التوحيد في الأفكار والعقول والمعتقدات.

أما الصعاب والعقبات التي واجهها على طريق إقامة الأمة الواحدة لم تكن قليلة. فالمجتمع الإسلامي في عصره قد ورث مخلفات من عصبيات قومية وعرقية وقبلية، كما ورث ذكريات الحروب الأليمة.

٢- سجّل أمير المؤمنين (ع) أروع نماذج الارتفاع إلى مستوى الهمّ الإسلامي الكبير والى مستوى الأهداف الرسالية الكبرى. رغم أنه كان يؤمن بحقّه في كثير من الأمور بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ، لكنه انشغل بمسؤوليته الكبرى في صيانة المسيرة الإسلامية في سبيل وحدة المسلمين.

٣- علّمنا أمير المؤمنين (ع) أنْ نحبّ حتى عدوّنا وأنْ نخاطبه بالتي هي أحسن لنحوّله إلى وليّ حميم !!. وقد حافظ من بعده أهل البيت (ع) على وحدة الدولة الإسلامية من التصدع والانهيار والحد من محاولات التخريب فيها من أعداء الإسلام حتى في المراحل الصعبة التي مروا بها من قتل، واعتداء، واعتقالات، وغصب حقوقهم.

٤- رسم أمير المؤمنين (ع) للمسلمين برنامج عمل موحد، وغايته المحافظة على كيان الدولة الإسلامية والبقاء عليها قوية أمام التحديات الكبيرة المحيطة بها من الشرق والغرب.

٥- أوصى أمير المؤمنين (ع) ولاته الالتزام بمبادئ ومثل وقيم الإسلام والعمل على تطبيقها، وعدم السماح بالخروج عنها ليكونوا قدوة أمام الجميع لتخفيف وطأة النزعة الذاتية عند الآخرين، وإزالتها من خلال تطبيق الممارسات الإسلامية الحقة.

٦- حقق أمير المؤمنين (ع) العدالة السماوية بعد الرسول] من خلال ما قام به من ممارسات ميدانية فيها الدروس والعبر. وتدل على حكمته وعدالته في التعامل بين المسلمين وغير المسلمين ورعايته مصالحهم مهما كانت بعيدة عن مركز الحكم في الكوفة.

٧- إنَّ الإسلام يؤكد على وحدة المسلمين لتطبيق مبادئه، وشرائعه، وأحكامه، والتخلص من أفق العصبية والطائفية، وقلع جذور الضلال والاختلاف. فخلال العصور الإسلامية التي تلت عصر الرسالة الأول شهدت اختلافات بين المسلمين أدّت إلى ظهور فرق ومذاهب داخل إطار العقيدة الإسلامية. غير أنَّ هذه الاختلافات المذهبية ما كانت تحول دون شعور المسلمين بأنهم أمة واحدة. فوقفوا بوجه كلّ تهديد خارجي موقفاً واحداً، ولا أدلّ على ذلك من موقفهم تجاه الحروب الصليبية. وكانوا على الصعيد الداخلي متعاونين متواصلين متوحدين خاصة في الحقل العلمي. ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى هذه الوحدة. وعلى المسلمين التعاون في ما يتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضاً في ما يختلفوا فيه، على أنَّ الاختلاف هو اختلاف تنوع

لا اختلاف تضادّ، فلا يضرّ بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين. والوحدة في الخصال ومكارم الأخلاق، فالأعمال قبل الأقوال والأخلاق قبل الانطلاق.

الهوامش:

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٤٢٧.
(٢) ينظر: لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ٥٩١.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ٣٦١/٨؛ المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه، ٧١٥/٢.
(٤) منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، ٧١٢/٢.
(٥) ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ٢٢٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨١/٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٧) ينظر: القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)، ٦٢٨-٦٣٦.
(٨) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ١٠٨.
(٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢١١.
(١٠) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٤٩.
(١١) الكليني، الكافي، ٢٩٩/١.
(١٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ٣٧٨/١.
(١٣) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة، ١١٣/١.
(١٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٨٥.
(١٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٥٥.
(١٦) يوم الرحبة: جمع فيه أمير المؤمنين (ع) الناس فيها أيام خلافته لذكرى يوم الغدير، السيد شرف الدين، المراجعات، ٣٨٨؛ الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ٤٤٣/٥.
(١٧) الميرجهاني، مصباح البلاغة، ٢٧٤/١.
(١٨) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ١٧٨.
(١٩) شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/٧.
(٢٠) سُمّيت خطبته (ع) بالقاصعة من: القصْع شدّة المضغ وضمّ بعض الأسنان على البعض. البدري، نزهة النظر، ٨٤.
(٢١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٩٩.
(٢٢) سورة التوبة، الآية ٩٧.
(٢٣) سورة التوبة، الآية ٩٩.
(٢٤) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٠٢/٤.
(٢٥) الشيخ الكليني، الكافي، ٥٢/٧؛ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١٩١/٤.
(٢٦) سورة المائدة، الآية ٢.
(٢٧) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٤٢٢.
(٢٨) ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ١٣٢/٢٠.
(٢٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٢٠٣.
(٣٠) شرح نهج البلاغة، ١٩٦/٣.
(٣١) الخوئي، منهاج البراعة، ٥٣/٩.
(٣٢) الطبري، جامع البيان، ٥٤/٤؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ١٤٣٠/٥.
(٣٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ٥٣١.

(٣٤) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٦/٤.
(٣٥) أصل الشيعة، ٩٥.
(٣٦) الكافي، ١٦٩/٢.

المصادر والمراجع:

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

المصادر:

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ):
١- تفسير بن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق أسعد محمد الطيب، (المكتبة العصرية، صيدا، د.ت).
ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٦هـ):
٢- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ).
الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٦هـ):
٣- نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (ع)، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة وحققه صبحي الصالح، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ).
ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحلبي (ت القرن٤ هـ):
٤- تحف العقول عن آل الرسول (تحفة العقول)، تحقيق علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).
الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ):
٥- كتاب من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، (الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د ت).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ):
٦- تفسير الطبري (جامع البيان)، قدم له خليل الميس، تخريج صدقي جميل العطار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ).
الكليني، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨هـ):
٧- الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ).
المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي الهندي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ):
٨- كنز العمال، تحقيق بكري حياتي وصفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ).
ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ):
٩- شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبِلَ بِعِدَّة نُسَخ مَوثوقٌ بها، (الناشر مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).

المراجع:

البدري، عادل عبد الرحمن:

١٠- نزهة النظر في غريب النهج والأثر، (مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢١هـ).

الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ):

١١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).

الشاكري، حسين:

١٢- علي في الكتاب والسنة والأدب، تحقيق فرات الأسدي، (المطبعة ستارة، قم، د ت).

شرف الدين، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧هـ):

١٣- المراجعات، تحقيق وتعليق حسين الراضي، (طبع على نفقة الجمعية الإسلامية، بيروت، ١٤٠٢هـ).

القبانجي، حسن السيد علي:

١٤- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)، (مطبعة إسماعليان، قم، ١٤٠٦هـ).

لبيب بيضون:

١٥- تصنيف نهج البلاغة، (مطابع مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٨هـ).

محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ):

١٦- في ظلال نهج البلاغة، (الطبعة الأولى، مطبعة ستار، ١٤٢٧هـ).

محمد عبدة:

١٧- شرح نهج البلاغة، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ت).

المنتظري، الشيخ المحقق آية الله العظمى المنتظري:

١٨- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٨هـ).

الميرجهاني، حسن المير جهاني الطباطبائي المحمد آبادي الجرقويي الأصبهاني (ت ١٣٨٨هـ):

١٩- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)، (د مط، طهران، ١٤٢٠هـ).